العدد الثامن السنة الثانية

المنار

١٣١٥

﴿يوم السبت ٢٦ ذي الحجه سنة ١٣١٦ الموافق ٦ مايو ـ ايار ـ سنة ١٨٩٩﴾

استنهاض همم

(١)

(رسالة مطولة لاحد فضلاء الكتاب في سوريا)

لم تر الحديث تسلسل في هذا الموضوع بين الكتاب مثلما رأيناه لهذا العهد ولم نعهد للاقلام جولة في هذا الضمار كجولتها في هذه الازمنة المتأخرة شعور سماوي قام في نفوس النبهاء من المسلمين وعقلائهم وروح زكي هبط عليهم من عالم القدس فبعث راقد هممهم . اذا تهامس أبناء طنجة بحديث في الاصلاح رنّ صداه بين أبناء سنغابور وحوّموا عليه اوقدح هؤلاء زناد رأي في عمل لاح له وميض في جو أولئك واشر أبو اليه وان تموج الهواء من أقصى الجنوب لهمهمة مسلميها اصاخ له اخوانهم في أقصى الشمال وان تناجي اثنان هنا انتقلت نجواهما الى هنالك انتقال الكهربائية بدون اسلاك أهاب المتيقظ بالمهوّم (١) وصاح المنتبه بالغافل وتلتل العامل المقصر

(١) أهاب به زجره وصاح به والمهوم من غلبة النعاس فجعل يهز رأسه

واستحث السابق المتأخر وهم في حوارهم هذا مجمعون على ان الامة في مرض يقرب من الحرض وكادوا يصفقون على ان علاجه الناجع هو تعميم التربية والتعليم . هل الامة في عوز لتناول هذا العلاج وهل يتسني لها تناوله وان احجمت عن تناوله كيف يكون مصيرها والى اي بيئة تتحول بيئاتها. استدعى هذا السؤال جوابا مسهباً واستثار حديثاً طويلاً وكنت في ملأ من اهل اليسار والجاه والنعمة والرفاه فاحببت ان ارفعه على صفحات (المنار) علّ فيه موعظة وذكرى لاولى الابصار

قلت اولا ان الحكومات الاسلامية التي مابرحت تحافظ على استقلالها هي اربع ـ العثمانية والفارسية والافغانية والمراكشية اما بقيه الجماعات الاسلامية فهي اما امارات مستضعفة تلوذ بالدول الافرنجية اوتستظل بحمايتها واما قبائل رحل تضرب في صحارى أفريقية ومجاهل آسيا وهناك اقوام سقطوا في مهاوي الاستعمار الاوربي وخنعوا لصولجان الحكم الاجنبي ولا جرم ان النهضة في اصلاح الخلل ورتق الفتق انما ترجي على اكملها في الحكومات الاربع المستقلة. اذا لم تسع تلك الحكومات في التقرب من بعضها ولم تتدبر عاقبة أمرها فبشرها بسوء المنقلب وشؤم المآل. كيف يؤمل الاصلاح العام اذا لم يمش رجالات(١) من اهل المشرق الى رجالات من اهل المغرب ويتحاوروا في اصلاح شؤنهم ويديروا الرأي في مواساة عللهم وتضميد كلومهم ؟ كيف تتحد القلوب وتلتئم الاهواء وعلماء تلك الحكومات متخاذلون ومن الصراط السوي ناكبون لايعترف احدهم للآخر بشأن ولا

(١) رجالات جمع رجال فهو جمع الجمع ولكنه لايستعمل الا في اشراف القوم وعظمائهم

ولا يستصوب له رأيا الا اذا وافق هواه ولائم ماقام في نفسه . اذا آنس احدهم من الآخر معارضة او مخالفة بهره (١) بالزندقة والمروق وزنه (٢) بالكفر والالحاد — كل ذلك ليلوي عنه اعناق السامعين ويصرف قلوب المعجبين ويستأثر بالشهرة بين العالمين . كيف يرجي الاشراف على الغاية التي تتوخى الوصول اليها واولو الامر في تلك الحكومات لايهمهم سوى حفظ مراكزهم وصيانة جثمانهم ؛ قصروا ايدي نبهاء الامة عن مشاركتهم في ادارة شؤنها ومشايعتهم في رأب صدوعها وأخذوا باكظامهم (٣) دون التفوه بكلمة تؤذن بانعاشها وتعمل على اسعادها . فعلوا مافعلوا ارادة المحافظة على الاطلاق والاستئثار بالسلطة والانفراد بالامر . ليتهم يعلمون أن ذلك الاطلاق الذي توخوه هو عين التقييد والحجز اليسوا في هلع دائم وجبن خالع من حدوث ثورات تقضي على سلطتهم وتبزهم اطلاقهم واستبدادهم اليسوا في حذر واشفاق من تألب الامة عليهم وأخذها على أيديهم اليس كل خطأ في سياسة البلاد او خلل في ادارة مصالحها وأعمالها ينسب في العادة الى عاهلها او اميرها اذا كان مطلق التصرف ويعزى الى أفن رأيه وسوء تدبيره ؛

هذه شؤون المطلقين المستأثرين بالسلطة . اصرفوا ابصاركم تلقاء أولئك الذين زحزحوا عن عواتقهم عبء المسؤلية والقوا معظمه على رجال من امتهم وقيدوا أنفسهم بارآء المنتخبين والشرائع والقوانين تروهم يتقلبون في شؤونهم وملء عيونهم غمض وحشو اجسامهم أمن لاتسمع في بلادهم لاغية شكوى عليهم ولا تحس بركز او حسيس (٤) لثورة في خضد شوكتهم وثل عروشهم

(١) بهره بهته ورماه بما هو برآء منه (٢) زنه اتهمه (٣) اخذ باكظامه بمعنى قبض على حلقه ومدارج انفاسه (٤) الركز والحسيس معناهما الصوت الخفي

اذا الم بسياسة الامة ضعف اوفساد او حدث في مصالحها العامه تراخ اوخلل كان المسؤل بتلك التبعة والمطالب بسوء نتائجها هو الذي جناها واجترحتها يده لاينحى على الزعيم الاكبر بلائمة ولا ينبس في النيل منه بكلمة. لاجرم ان المسمي بالاطلاق هو عين التقييد والمسمي بالتقييد هو عين الاطلاق

انى يتاح للامة افاقة من هذا الخمار اوتفلت من احابيل الجهل والضعف والاستخذاء (المذلة) وروحها التي هي المال في قبضة اناس لايهمهم سوى انفاقه في سبيل شهواتهم. ليت شعري بماذا يمتاز المسترسلون في ملاذهم المنغمسون في شهواتهم عن البهائم المرسلة اذا لم يبذلوا جزءاً من ثروتهم - مالهم الكثير - في انقاذ امتهم من الجهالة وتنوير عقول شبانها بالعلم والعرفان. مهما تنعم المرء في ضروب الترف وتقلب في انواع الرفه كان حظ البهيمة في ذلك اكمل ولذتها اتم. البهيمة تسعي في تلمس شهوة نفسها واستيفاء لذة حواسها فالحليق بالانسان ان يباينها في ذلك ويسمي في تطلب شهوة عقله واستيفاء لذة وجدانه وشعوره. شهوة العقل هي الارتياض بالكمالات والقيام بالواجبات. لاكمال ارفع ولا واجب اقدس من خدمة المرء لامته وسعيه في اصلاح قومه. لاعمل يحفظه التاريخ ويشكره الله مثل عمل المرء في صيانة وطنه وانقاذه من المخاطر المحتمة به. مايتظر المتقاعدون عن العمل ماذا يرجو المخلفون عن مشايعة العاملين ماالذي يثبط الهمم عن السعي ماالذي يضعف العزائم عن الجهر بالحق والنصيحة؟ ايتظارون صيحة من العالم العلوى تثير الراكد وتوقظ الراقد ايرتقبون هتافا من عالم الارواح يزعج الانفس المطمئنة ويتلتل الهمم المستكنة ايصيخون الى نبآت وهمسات من خلل برازخ الاموات تجمع البدد وتصلح مافسد وتعلم الجاهل وتنبه

الغافل ؛ جلت عظمة الله وتقدست حكمته ان هي الا نواميس كونية وسنن آلهية وضعها تعالى من العالم موضع القطب من الرحي او الروح من الجسد فمن رعاها حق رعايتها وتوخي السير عليها ظفر ومن دابرها او تنكب جددها عثر تلك النواميس والسنن لاتبديل فيها ولا تخلف يعترض دون اطرادها الا ما كان في أزمنة النبوات ازمنة التحدى بالخوارق والمعجزات

وبالجملة ان ماتواتر على الامة من القوارع وتتابع من وخزات الحوادث كاف لاماطة غشاوة الغفلة عن أبصار آحادها وتفكيك همهم من العقل والاغلال التي كبلتها . وما رأيناه لهذه الآونة من تلك الروح العلوية الفائضة عن السنة عقلائنا والطائفة على اسنان اقلامهم في خطبهم وكتاباتهم جدير باحياء ميت الآمال فينا واثارة رواكد الاماني في نفوسنا وحقيق بان يبعثنا على اطراح اليأس والقنوط والاخذ باسباب الحيطة والحزم قبل تقاص الفرص وتجافي الاسباب وحدوث مالم يكن في الحسبان . فلنلف اليأس بالكسل . ونرمي بهما من حالق جبل . ولنضع امام اعيننا نور الامل ثم لنقبل على العلم والعمل وعلى الله سبحانه العصمة من الزلل

باب التربية والتعليم

✻ التعليم القضائي ✻

بينا في نبذة سابقة ان مثلى طرائق التعليم هي التعليم بالعمل وذلك اجمال لو فصل ببيان كيفياته بالنسبة الى كل علم وفن لاحتاج الى مجلدات كثيرة ولكن العالم بفن من الفنون تكفيه الاشارة لانه مهما كان جاهلا